شعر الزبرقان بن بدر

د.ليـــلى الحيـــالي
الجامعة المستنصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

شعر الزبرقان بن بدر

كثيرا ما يقترن شعر الزبرقان بن بدر بالحطيأة وكلاهما من الشعراء المخضرمين، وهما على طرفي نقيض من حيث الصفات الإنسانية والأخلاق الاجتماعية ، والإيمان بالله تعالى ورسوله الكريم محمد ﷺ .

فالزبرقان من سادات العرب وهو أحد كبار رجال وفد تميم الذي بايع الرسول ﷺ في عام الوفود ٩هـ ، واصبح صحابيا جليلا والتزم بالإسلام وتمسك بالمبادئ وبقي على عهده في جمع الصدقات وإيداعها في بيت مال المسلمين ، أما الحطيأة فقد اشتهر بمهاجاته للشاعر والحط من قدره في شعره ولم نسمع عنه او نقرأ في كتب الأدب أنه بايع الرسول ﷺ على الإسلام أو واجهه أو صاحبه ، لذلك رأيت أن اقدم دراسة متواضعة لشعر الزبرقان الذي لم يعرف عنه إلا القليل ، ومن الله التوفيق وعليه التوكل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الزبرقان بن بدر

الزبرقان بن بدر بن امرئ القيس بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مرٍّ التميمي السعدي، يقال كان اسمه (الحصين) ولقب ب(الزبرقان) لحسن وجهه وهو من أسماء القمر[١] وكان يدعى (قمر أهل نجد) ، وقد كان سيدا في الجاهلية عظيم القدر في الإسلام أنيق الملابس جميل المنظر ، وقد جعله العسقلاني في القسم الأول من الصحابة[٢] . يروى أن الزبرقان وفد على النبي ﷺ .

أبناء قومه وهم سادة بني تميم فيهم : عطارد بن حاجب في أشرافهم ومنهم الأقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم وقيس بن عاصم فنادوا رسول الله ﷺ من وراء الحجرات[٣] قال تعالى : "[٤] إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو انهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم[٤] " والحجرات هي بيوت نساء النبي ﷺ فالله تبارك وتعالى ذم الذين ينادون النبي من وراء الحجرات كما يصنع أجلاف الأعراب[٥] وقد نزلت

---

١ - ينظر الاصابة ٥٤٣/١

٢ - ينظر معجم الشعراء ١٠٢

٣ - المصدر نفسه ٥٤٤/١

٤ - سورة الحجرات الاية ٤,٥

٥ - ينظر مختصر ابن كثير ٢١٤/٣

الآية في الأقرع بن حابس الذي كان مع الوفد . وقد ارشد الله تعالى في هذه الآية إلى الأدب في مخاطبة النبي ﷺ ، وقد اسلم رجال الوفد وآمنوا بالله ورسوله ﷺ.

ويروى في كثير من كتب الأدب أن الرسول ﷺ سأل عمرو بن الأهتم وهو أحد رجال الوفد عن الزبرقان فقال: مانعٌ لحوزته مطاعٌ في أدنيه، وسأل الزبرقان عن عمرو فقال: أما انه قد علم اكثر مما قال لكنه حسدني شرفي فقال عمرو: أما لئن قال ما قال فوالله ما علمته إلا ضيق الصدر زمر المروءة لئيم الخال حديث الغنى فلما رأى عمرو أن قوله الآخر خالف قوله الأول ورأى الإنكار في عيني رسول الله ﷺ قال: يا رسول الله رضيت فقلتُ أحسن ما علمت ، وما كذبت في الأولى ولقد صدقت في الثانية فقال: ﷺ مقولته المشهورة ((إن من البيان لسحرا))[٦] ، ويعد الزبرقان من المعمرين ، إذ إنه عاش في الجاهلية وهو سيد قومه وقد ولاه النبي ﷺ صدقات قومه فأدّاها في الردة إلى أبى بكر الصديق ثم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وكان وفيا في أداء الزكاة ، وعاش إلى زمن معاوية بن أبى سفيان.

روى الجاحظ أن الزبرقان كفٌ بصره في أواخر حياته ويروى انه وفد على عبد الملك بن مروان ، وكان عالما بأنساب الخيل ، فقاد إليه خمسة وعشرين فرسا، فنسب الزبرقان كل فرس إلى آبائه وأمهاته وحلف على كل فرس منها يمينا غير التي حلف بها على غيرها، فقال عبد الملك: عجبي من اختلاف إيمانه اشدٌ من عجبي بمعرفته بأنساب الخيل[٧].

الأغراض الشعرية

اكثر الأغراض التي تناولها الزبرقان بن بدر في شعره الذي وصل إلينا ، كان الفخر بأنواعه، ثم يليه شعر الحماسة إذ أن الزبرقان كان فارسا شجاعا شاعرا مدافعا عن مصالح قومه ، رافعا شأنهم بين القبائل ، لذا يأتي وصف الخيل والفروسية في المرتبة الثالثة من شعره، ثم انه تناول الحكمة والموعظة الحسنة يرشد بها من أحاطوا به من العرب . ثم الهجاء إذ كان سلاح الفرسان بين القبائل ، وحين كان يهجو أحد خصومه يهجوه بأسلوب مؤدب ولفظ لطيف ، وعتاب اخوي، ليس فيه تجريح أو إساءة إلى المهجو، ولم أجد في شعره غزلا أو ذكرا للنساء إلا في بيت واحد ومن المؤكد أن الشاعر كان له شعر غزير قبل الإسلام حين كان أحد أفراد بني تميم وسيدا من ساداتها، ولم يدوّن شعره إلا القليل منه على الرغم من جودته وبلاغته ، وفصاحة كلامه .

---

٦ - بنظر البيان والتبيين ٤٣/١ طبعة بيروت ولباب الاداب ٣٥٤، وقد نسب الحوار المذكور الى عمرو بن الاهتم وقيس بن عاصم.

٧ - ينظر الإصابة ٥٤٣/٢.

ولما وفد على النبي ﷺ انشده قصيدة يفاخره فيها كان مطلعها[٨] :

نحن الكرام فلا حيٌّ يعادلنـــا

منا الملوك وفينا تُنصَب البيعُ

وكم قسْرنا من الاحياء كلهـم

عند النّهابِ وفضْل العزّ يُتبَـع

فلما فرغ الزبرقان من إنشاد قصيدته العينية قال الرسول ﷺ لحسّان بن ثابت : قم يا حسّان فأجب الرجل، فقال حسان[٩] :

أن الذوائب من فهر واخوتهم

قد بينوا سنّة للناس تُتَبـــعُ

يرضى بها كلُّ من كانت سريرتُـه

تقوى الإله وكل الخير يُصطنعُ

فلما فرغ القوم اسلموا، وجوَّزهم رسول الله ﷺ فأحسن جوائزهم[١٠] وكان ذلـك فـي عام الوفود سنة ٩ هـ ، نستدل من ذلك أن شعر الزبرقان يضاهي شـعر حسـان ، منـاظراً لأسلوبه في الفخر والمنافرة وقد وصفه ابن سلام الجمحي في طبقاته بقوله[١١] :

(كان الزبرقان شاعرا مفلقا وكان يعاتبهم ولم يكن يهجوهم) ويقصد بـذلك خصـومه الحطيأة ويغيض بن عامر من بني قريع والمخبّل السعدي، وخصومتهم معروفة عند الباحثين ، وتردد ذكرها في كتب الأدب حين هجاه الحطيأة في قصـيدته السـينية المعروفـة ، وكانـت خلاصة القصة أن الحطيأة حينما خرج مع ابنته مليكة وامرأته أمامة على ذود له ثلاث، فنزل منزلا واسرج ذودَهُ، فلما قام للرواح فقد إحداهن. وصادف أن الحطيأة كان قادما إلى المدينـة والتقى الزبرقان.

وكان يتمنى أن يصيب رجلا يحمله ويصفيه مديحـه، إذ إنَّ الحطيـأة كانـت مهنتـهُ التكسب بالشعر ، فقال له الزبرقان تقدَم على اثري فأني على أثرك ، و أرسل الزبرقان إلـى امرأته أن أكرمي مثواه ، إلا أن امرأة الزبرقان كرهت لقاء أسرة الحطيأة إذ إنَّ (مليكة) ابنـة الحطيأة كانت فتاة جميلة، فأظهرت لمليكة وأمها جفوة ولم ترحب بقـدومهما، وكـان خصـم الزبرقان يترقب الموقف وهو بغيض بن عامر من بني قريع ينازعه الشرف ، فدعا الحطيـأة

---

٨ - السيرة النبوية لابن هشام ٥٦٣/٤ وقد ذكر ابن هشام ان اكثر اهل العلم ينكرها للزبرقان وشعره ٤٦.

٩ - ينظر سيرة ابن هشام ٥٦٤/٣ وديوان حسان ١٤٥مع اختلاف في الرواية .

١٠ - ينظر المصدر نفسه ٣/ ٥٦٧.

١١ - طبقات الشعراء ٥١ .

إلى بيته وساعده أخواه علقمة وهوذة في منازعة الزبرقان ، فأسرعوا وبنوا عليه قبة ونحـــروا له وأكرموه كلَّ الإكرام، وشدّوا بكل طنب من أطناب خبائه حلة من (بـــزٍّ هجـــر) ، واخـــذ الحطيأة بالهجاء والسخرية من الزبرقان ، حتى استعدى عليه الخليفة عمر بـــن الخطـــاب ﷺ وشكا إليه أمر الحطيأة[١٢] .

ومن المؤكد أن الزبرقان كان مغلبا في الشعر لأنه كان سيدا محترماً متسامحا حليما ، لذا فإن الحطيأة غلبه بشعره وكذلك المخيل السعدي غلبه أيضا في هجائه له حين قال[١٣] :

لَعُمركَ إن الزبَرقان لذائـبٌ

على الناس يعدو نوكهُ ومجاهلُهْ

ولما رأيتَ العزّ في دار أهله

تمنيتَ بعد الشيب انك ناقِلُـه

وليس هذا الأمر بجديد إذ إننا نرى الشاعر النابغة الجعدي كان مغلبا أيضا حين هجته ليلى الاخيلية في قصائدها[١٤] وهذه صفة المؤمنين إذ إنَّ المؤمن يلتزم بالخلق الحسن والحلـــم، وعلو الهمة، ولا يفكر في سفا سف الأمور . ويحلل ويحرم ويلتزم بحدود الله اكثر من غيـــره من الشعراء، وكان كثير الحياء بدليل منزلته العالية وسيادته لقومه ، وترفعه عن الدنايا.

وإذا هجا الزبرقان فأما يهجو للدفاع عن حرمة من حرم الله تعالى وهذه صـــفة مـــن صفات النبي محمد ﷺ ، قال النبي محمد ﷺ[١٥] : " الإيمان بضع وسبعون شـــعبة والحيـــاء شعبة من الايمان "وقوله ﷺ[١٦] : " الحياء لا يأتي إلا بخير " وقد شرح النووي هذا الحـــديث فقال بشير بن كعب[١٧] : انه مكتوب في الحكمة ان منه وقارا ومنه سكينة .

وليس للزبرقان هجاء في شعره الذي وصل إلينا إلا أبيات في ذكـــر الســـعاة الـــذين تركوا جباية الزكاة والصدقات وارتدوا عن الإسلام فهجاهم قائلاً [١٨]

وفيتُ بأذوادِ الرسولِ وقدَ أبتْ

سُعاةٌ فلم يرُدْد بعيراً مجيرهُـا

وقال أيضا في القصيدة نفسها :

---

١٢ - ينظر طبقات ابن سلام ٥١.

١٣ - شعر المخبل السعدي ٥٣ .

١٤ - ينظر شعر ليلى الاخيلية (في هجائها له) وشعر النابغة الجهدي (في مهاجاة ليلى له).

١٥ - صحيح مسلم ١/ ٢١٨.

١٦ - صحيح مسلم ١/ ٢٢١ .

١٧ - ينظر صحيح مسلم ١ /٢١٩ .

١٨ - شعر الزبرقان ص ٤٣ .

فأدَّيتهُا لِمن حَّي إذا عُدَّ سعيهمُ

يرى الفخَر منها حيُّها وقبوُرها

وله أبيات في هجاء ابن عمه وابن عشيرته الذي كان غادرا ناكرا للجميل قال فيها [١٩] :

ولي ابن عم لا يزالُ يعيبُني ويعيبُن عائب

وأعُينهُ في النائباتِ ولا يُعينُ على النوائبْ

أما مديحه فلم يكن يمدح أحدا تزلُّفاً أو تكسبا لأنه لم تكن به بحاجة إلى مال أو جاه أو تملق لشخص معين ، وإذا مدح فأن ذلك يكون بعاطفة صادقة وحب حقيقي للممدوح. فالزبرقان حين مدح (سعد بن زيد مناة) وهو من أبناء قومه وعلى رأسهم آل شماس وهم قوم الزبرقان قال [٢٠] :

سعُد بنُ زيدٍ كثيٌر إنْ عَددْتهَم

ورأسُ سعِد بن زيدٍ آلْ شماسِ

ومدح الزبرقان (زاد الركب) وهم من بني مخزوم وكان هؤلاء القوم كرماء يطعمون كلَّ من يسافر معهم في رحلة ويكفونه، قال يصف كرمهم وحسن أخلاقهم [٢١] :

همُ منعوا الاباطَم دونَ فهرٍ

ومَن بالخيفِ والبُدنِ اللِّقاحا

بضربٍ دوَن بيضتهم طِلَخفٌ

إذا الملهوفُ لاذ بهم وصاحا

وما تدري بأيّهم تُلاقي

صدورَ المشرفيّةِ والرماحا

فهؤلاء القوم لم يدينوا للملوك ولم يملكوا ولم يصبهم في الجاهلية سباء [٢٢] .

وللزبرقان بعض الأبيات في الحكمة وهي على قلتها تدل على حسن أخلاق الشاعر وعمق تجربته، وفهمه لأخلاق الناس، فهو يقسم الناس الذين عاشوا في بيئته إلى صنفين فمنهم الناصر وابن العم والجار والحليف والصنف الثاني البخيل الشجيع الجاهل ، الذي لم يجرب أمور الحياة والحاقد الخبيث ، وذلك في قوله [٢٣] :

ومن الموالي مولِيانِ فمنهُما مُعطي الجزيلَ وباذلُ النصرِ

---

١٩ - شعره ٣٦ .

٢٠ - شعره ٤٥ .

٢١ - شعره ٣٧ .

٢٢ - ينظر الاغاني ٢/ ١٩٤ .

٢٣ - شعره ٣٧ .

ومن الموالي ضَبٌّ جندلـــــةٍ لحزِ المروءةِ ظاهرُ الغَمْـــــرِ

وللزبرقان بعض الأبيات في الوعظ مثل قوله : [٢٤]

أخوك الذي لا ينقضُ الدهرَ عهدهُ

ولا عن صروفِ الدهرِ يزورُّ جانبـهُ

وليس الذي يلقاكَ بالبِشْرِ والرِضا

وان غبتَ عنه تابعتكَ عقاربُـه

فُخذْ من أخيكَ العفَو واغفْر ذنوبهُ

ولا تكُ في كلِ الأمورِ تُحاسبـُـه

وهذه المعاني السامية في الموعظة الحسنة سبق الزبرقان كثيرا من الشعراء في التعبيـر عنها مثل بشار بن برد [٢٥] .

أما الزهد والنصح فقد كان للزبرقان نصيب منه في شعره الذي خاطب فيه ابن عـمٍّ له وهو ينصحه فقال : [٢٦]

دعني أعنكَ على الزمـــانِ وأغْنِ عنكَ بكلِ جانب

اني كسيفكَ في يمينـكَ لاَ اليُن لمن تحـــاربْ

وكان ابن عمه علقمة بن هوذة قد وقف إلى جوار بغيض بن شماس السعدي ضده ، وأفسدَ العلاقة بينه وبين الحطيأة وحرَّضه على هجائه [٢٧] .

أما الغزل فلم أجد في شعر الزبرقان الذي وصل إلينا سوى قوله : [٢٨] .

أظلَّ بيتي أم حسناء ناعمةً

عَّيرتني أم عطاءَ الله ذا القنع

فهو يصف المرأة التي جعلها (ظل بيته) ويصف رقتها وهدوءها وحسن تعاملها ، وهـو قانع راضٍ بعطاء الله وهو مؤمن بقوله تعالى : [٢٩]

" ومن آياتهِ أنْ خلقَ لكـمْ منْ أنفسكـمْ أزواجاً لتسكنوا إليها " .

والفخر عند الزبرقان من اكثر أغراض شعره فهو كما ذكرنا سيد قومـه ، ذو منزلـة محترمة ، ومكانة مرموقة قبل الإسلام وبعد إسلامه، فكان يفتخر بنفسه ونسبه وخلقه ، وحسن

---

٢٤ - ينظر الاغاني٣/٢٧ وشعراء النصرانية لويس شيخو ١/٣٧٨ .

٢٥ - شعره ٤١ .

٢٦ - شعره٣٦ .

٢٧ - ينظر الاغاني ٢/ ١٨٢ ولباب الاداب ٣٧٨ .

٢٨ - شعره ٤٩ .

٢٩ - سورة الروم الاية ٢١ .

إسلامه وشجاعته وكرمه وإطعامه الطعام ، واقتحام المخاطر ، ونحـــر الـــذبائح للضـــيوف ، وحماية الضعيف وإجارة المنتخي ،

فمن افتخاره بقومه وقوة جيشه قوله : [٣٠]

يهدي الخمَيس نجادا في مطالعها

أما المصاعُ وأما ضربةٌ رعُب

فالخميس هو الجيش المكون من خمسة أقسام : المقدمة والمؤخرة والميمنة والميسرة والقلب . فجيشه يقاتل ويضارب بشجاعة ويصارع عدوه ويرعبه .

وأما فخره بنفسه فقد وصف فيه نفسه بقوله : [٣١]

ألم اكُ باذلا ودّي ونصري

واصرف عنكم ذَرْبي ولَغبي

فالشاعر يبذل جهده ليصرف عن قومه كل سوء ، ويحميهم من سئ الكلام ، ويحفظهـــم من ذرب اللسان ولا يذكرهم إلا بالصفات الحسنة .

وحين يفتخر بنسبه يقول : [٣٢]

وان اكُ من كعبِ بنِ سعدٍ فإنَّني

رضيتُ بهم من حّي صدقٍ ووالدِ

وان يكُ من كعبِ بن يشكرَ منصبي

فان إيانا عامرٌ ذو المجاســـدِ

فكان عامر ذو المجاسد من بكر بن وائل وكان ســيدهم فـــي الجاهليـــة ، وصـــاحب مرباعهم، وسمي (ذو المجاسد) لأنه كان يصبغ ثوبه بالجساد وهو الزعفران والثوب الجســـد هو المصبوغ بحمرة أو صفرة.

وإذا أراد الافتخار بشجاعته فهو يصف كيف يدخل المهالك والأماكن التي يصرع بها الأبطال ، فيقتحمها وينتصر على خصمه ، ولا يسمح لغيره أن يكون قائدا أو مذلا له ، قـــال : [٣٣]

أغشى المهالكَ بالرجالِ ولا

أُعطي المقادَة سائمي الحقرا

و أحيانا يفتخر الزبرقان بإقتحامه المخاطر في غلس الليل : [٣٤]

---

٣٠ - شعره ٣٤ .

٣١ - شعره ٣٥ .

٣٢ - شعره ٣٩ .

٣٣ - شعره ٤٤ .

وماءٍ قديمٍ عهدهُ مُا يرى به

سوى الطيرِ قد باكرنَ ورَد المغَّلس

وردُتٌ بأفراسٍ عتاقٍ وفتيةٍ

فوارطُ في أعجاز ليلٍ معسعسِ

فهو دخل المعركة بأفراس عتاق لها صفات مميزة منها :

العتيق الكريم من كل شئ والجبار من كل شئ والجواد الرائع وعتقَ الفرُس سبقَ فَنجا، وأعجلَه فنجا الفرس .

وحين وفد مع قومه بني تميم إلى المدينة المنورة لمبايعة النبي محمد ﷺ في عام الوفود ٩ هـ افتخر بنسبه فقال : (٣٥)

نحن الكرامُ فلا حيٌ يعادُلنا

منا الملوكُ وفينا تنصبُ البِيَعُ

فكان الشاعر حديث الإسلام وكانت معاني الجاهلية لا تزال مترسخة في أعماقه ، فهو افتخر بنسبه على عادة العرب قبل الإسلام ، ويبدو انه كان نصرانيا بدليل قوله (تنصب البيع) إلا انه فضل الإسلام وبايع النبي محمداً ﷺ وشهادة (لا اله إلا الله) وحسن إسلامه .

ويفتخر الزبرقان بنحره الذبائح وتقديمها للضيوف كرما منه وتفضلاً قال : (٣٦)

فننحُر الكوَمَ عبطاً في أَرومِتنا

للنازلين إذا ما أنزلوا شبعوا

فهو ينحر النوق العظيمة السنام، ذات الجودة العالية ، ويقدم افضل ما لديه لضيوفه، وذلك لأصله النبيل وارومته، وسيادته في قومه .

ويفتخر أيضا بإطعام الطعام أيام القحط والمحول ، وفي السنين الشديدة قال : (٣٧)

ونحن يُطعَم عند القحطَ مطْعمنا

من الشواء إذا لم يؤنسِ القَزعُ

والقزع هو السحاب الذي لا مطر فيه، فالدنيا في حالة قحط ومجاعة والشاعر طوع نفسه لإنقاذ الناس من تلك المجاعة.

وإذا افتخر بنخوته وإجارته للضعيف وحماية الجار يقول : (٣٨)

---

٣٤ - شعره ٤٥ .

٣٥ - شعره ٤٦ .

٣٦ - شعر ٤٧ .

٣٧ - شعره ٤٧ .

٣٨ - شعره ٥١ .

وإنا نذود الِمعلمينَ إذا انتخَوا

ونضربُ رأسَ الاصيدِ المتفاقمِ

وإن لنا المرباع في كل غارة

نُغير بنجدٍ أو بأرض الأعاجم

والمرباع هو ربع الغيمة ، وهذا المعنى جاهلي يدل على بداية دخوله الإسلام، وهو لما يتعلم مبادئ الدين الجديد.

وقد يفتخر الزبرقان بالمروءة ويُعجب بالإسلام وتمسكه بالدين الجديد حين كلّفه النبي ﷺ بجمع صدقات قومه، واستمر بعمله في حياة الرسول ﷺ وبعد وفاته، وبقي على ذلك في خلافة أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، ولم يغدر أو ينحرف عن الدين ، فقال مفتخراً: [٣٩]

وفيت بأذواد النبي محمدٍ

وكنتُ امرءاَ لا افسُد الدينَ بالغدرِ

أما شعره الحماسي فهو يصف فيه المعارك التي خاضها قبل إسلامه وبعده كما في قوله:[٤٠]

وقُبة ملكٍ قد دخلتُ وفارسٍ

طعنتُ إذا ما الخيلُ شدّها مُغيرها

ففرجتُ أولاها بنجلاءَ ثرّةٍ

بحيث الذي يرجو الحياة يُضيرها

وشهد صدقٍ قد شهدْتُ فلم يكنْ

به حاملاً واليومَ يُثني مصيرُها

أرى رهبة الأعداء مني جراءةً

ويبكي إذا ما النفسُ يوحي ضميرُها

ففي هذه المعركة انتصر الشاعر على خصمه ذلك الملك القوي ، فطعنه وكان فارساً شجاعا شديداُ على أعدائه، في وقت اشتداد الخيل وهجومها ، فطعن الخصم الأول بضربة نجلاء، ووصف مشهدا آخر وهو رهبة الأعداء له وخوفهم من جرأته، فنفوسهم محبة للحياة خائفة نهاية مصيرهم على يديه.

ومن شعره الحماسي قوله وهو يصف معركة دارت بين قومه وبين (رهط كناد) .[٤١]

---

٣٩ - شعره ٤١ الذود : من ثلاثة إلى عشرة من الإبل.

٤٠ - شعره ٤٤ .

ومن رهطِ كنادٍ توفيت ذمتي

ولم يثْنِ سيفي تبحُها وهريرها

وليلةِ نحسٍ في الأمور شهدتُها

بخطةِ عزمٍ قد أُمِرَّ مريرُهـــــــا

ومن شعره الحماسي قوله وهو يصف جيشاً وهم يندفعون نحو قومه في منتصف الليل حيث الظلام ورهبته والجيش وقوته : [٤٢]

ساروا الينا بنصف الليل فإحتملوا

فلا رهينةَ الا سيدُ صمـــــدُ

سيروا رويداً فإنا لن نفوتكم

وإنٌ ما بيننا سهل لكم جُددُ

ولما تقدم جيش العدو على قوم الشاعر اصبح سادتهم رهائن وجندهم أسرى ، وما ذلك إلا أمر يسير وشأن معتاد لدى قوم الشاعر الأبطال ، ومن المرجح أن يكون هذا الشعر قبل الإسلام.

وللزبرقان أشعار في وصف الخيل قال وهو يصف فرسه (الرقيب) الذي تميز بصفات نادرة تميزه عن غيره من الافراس ، فهو يفضله ويختصه بالعلف المناسب له، ويعنى به عناية كبيرة، فلم يكن قليل اللحم أو ضعيف البنية، ولا قليل الشعر ، ومع ذلك كان الفرس رشيقاً خفيفاً يمكنه العدو بسرعة ، ومنظره حسناً . ومن المؤكد أن هذه القطعة من شعره الجاهلي الذي سبق إسلامه، لان اسم (الرقيب) من أسماء الله الحسنى قال تعالى[٤٣] : فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم" وقوله تعالى[٤٤] :

"فأرتقبوا إني معكم رقيب " والرقيب هو الحافظ والمنتظر

قال الزبرقان في شعره الجاهلي يصف فرسه : [٤٥]

أقفي الرقيبَ أُداويه وأصنعهُ

عاري النواهق لا جافٍ ولا قفرٍ

---

٤١ - شعره ٤٤ .

٤٢ - شعره ٣٨ .

٤٣ - سورة المائدة ١١٧ .

٤٤ - سورة هود ٩٣ .

٤٥ - شعره ٤٠ .

وللشاعر بعض الأبيات في العتاب ، الذي يلقيه بأسلوب طيب، وتسامح بعيد عن الحقد أو الكراهية فيقول وهو يوضح موقف (زاد الركب) والسادة الكبراء من رجالات العرب مثل (ذي الرمحين) الذين كانت لهم مكانة كبيرة في المجتمع البدوي ، فيعاتب شخصاً على عدم تقديره لهم فقال : [٤٦]

أ تدري من منعتَ وروَد حوضٍ

سليَل خضارمٍ سكنوا البِطاحا

أزادَ الركبِ تمنعُ أم شهابا

وذا الرمحينِ أمنَعهم سلاحا

أما الرثاء فنجد الزبرقان يرثي رسول الله ﷺ بعد وفاته فيقول : [٤٧]

أليتُ لا ابكي على هالكٍ بعد رسول الله خير الانامِ

بعد الذي كان لنا هادياً من حيرة كانت وبدر الظلامِ

يا مبلغ الأخبار عن ربه فينا ويا محيي ليلة التمامِ

خصائص شعره الفنية

إذا تصفحنا ديوان شعر الزبرقان المجموع نجده مكوناً من قطع صغيرة يتراوح عدد أبياتها من واحد إلى سبعة أو خمسة وله قصيدة مكونة من ثلاثة عشر بيتاً وشعره كما قلنا لم يصل إلينا إلا القليل منه ، ومع ذلك يمكن أن نلمس من أبياته وقطعه الشعرية أسلوبا رقيقاً ، ولفظاً جزلاً وصوراً حيّة تمثل طبيعة حياته بين أبناء قومه وهو سيدهم الحليم ، وممثلهم عند وفادتهم على رسول الله ﷺ .

فكان يبدأ شعره بالجملة الفعلية في عشر قطع شعرية [٤٨] مثل قوله : [٤٩]

وفيت بذمة القيسيّ لما

تواكلها الصحابة والجوارُ

وفي بعض القطع يبدأ بالاستفهام في خمس قطع [٥٠] مثل قوله : [٥١]

ألم اكُ باذلاً ودي ونصري

---

٤٦ - شعره ٣٨ .

٤٧ - شعره ٥٢ .

٤٨ - ينظر شعره ٤٤،٤٢،٤٠،٣٩،٣٨،٣٥، ٥٢، ٥٠، ٥٣،، ٥٥ .

٤٩ - شعره ٣٩ .

٥٠ - شعره ٥٥،٥١،٤٩،٣٧،٣٥ .

٥١ - شعره ٣٥ .

وأصرف عنكم ذربي ولغبي

وفي بعضها يبدأ شعره بالقسم في قطعة واحدة مثل قوله : [٥٢]

فبالله لولا أنت بالغيب لم اجئ

إليهم ولم أخمرهم أن أُلاحيا

ويبدأ الزبرقان بعض أشعاره بلفظ الجلالة في قطعة واحدة في قوله : [٥٣]

الله أعطاني وإنهم يوم زوملة الأعاجم

وأحياناَ يبدأ بالجملة الاسمية في سبع قطع[٥٤] مثل قوله : [٥٥]

وبُردا ابن ماء المزن عمي اكتساهُما

بعزّ معّد حين عُدتْ محاصلُـــــــــه

وقد يبدأ بالشرط مثل قوله : [٥٦]

وان أكُ من كعب بن سعدِ فإنني

رضيت بهم من حي صدقٍ ووالدِ

أما صوره الشعرية فقد كانت تتميز بالوضوح والحقيقة حين يصف معركة أو جيشاَ أو يمدح شخصاَ أو يفتخر ، واحياناً يستخدم الرمز للتعبير عن معنى من المعاني التي تتناسب مع ثقافة عصره ، وبلاغة منطقه كما في قوله : [٥٧]

رأي قومِ ادركوا غبطةَ

وأنتَ لهم من حامٍ وسامِ

فالشاعر يرمز بـ(حام وسام) لأبناء النبي نوح عليه السلام الذي تحمل الصعاب ونال الثواب وحصل على جنة المآب ، وهذا الرأي شامل وعام لقوم كانت لهم خبرات وتجارب سابقة .

وقد يرمز إلى أيام العرب وانتصاراتهم على الفرس في قوله : [٥٨]

الله أعطاني وأنعَم يوم زوملة الاعاجم

ثم استخدم رمز (خندف) للدلالة على فخره بنسبه ونسب عرب الحجاز وعرب الشمال في قوله:[٥٩]

---

٥٢ - شعره ٥٥ .

٥٣ - شعره ٥٤ .

٥٤ - شعره ٤٦،٤٨،٤٩،٥٠.

٥٥ - شعره ٥٠ .

٥٦ - شعره ٤٩ .

٥٧ - شعر ه ٥٣ .

٥٨ - شعره ٥٤.

٥٩ - شعر ٥٤ .

قد علمت قيسٌ وخندفُ أنني

وفيت إذا ما فارسُ السوء أحجما

واستخدم رمز (العقارب والأفاعي) للدلالة على الشر والعمل السئ والأشخاص السيّئين فقال :[٦٠]

طوى كلُ معروفٍ وأحضرَ دونه

عقاربُ أخشى لَسْعَها وأفاعيا

ويرمز لشرار الناس ومن يعتدي على حرمات غيره أو يأكل مالاً حراماً ويمد يده بالسوء للآخرين ، يرمز له الشاعر (يأكل الطير) كما في قوله : [٦١]

فإنما الناس يا لله أمُهم

أكائل الطير أو حشوٌ لأرجامِ

فهؤلاء الناس هم وحوش مثل الكواسر التي تأكل الطير الوديع .

ويرمز بـ(الذئاب) لمن يغدر ويستغل ضعف الضعفاء لنيل مراده فيقول : [٦٢]

تعدو الذئابُ على من لا كلابَ له

وتتقي مربَضَ المُسْتَنفِرِ الحامي

وأحيانا يتخذ مثل هذا التعبير (تعدو الذئاب على من لا كلاب له) مثلاً يضرب عند كثير من الناس.

أما تشبيهاته فهي مفردة أو مركبة على الرغم من قلة شعره يمكن أن نقرأ قوله وهو يشبه مفرداً بصورة كما في قوله : [٦٣]

إني كسيفك في يمينك

لا أليـن لمـن تُحـارب

ويستخدم الاستعارة في كثير من الأحيان لغرض بلاغي وتعبير بياني رصين مثل قوله: [٦٤]

وليسَ الذي يلقاك بالبشْر والرضى

وإن غبتَ عنه تابعتكَ عقاربه

وقوله : [٦٥]

وأجعل كلَّ مضطهدٍ أتاني

يخافُ الضيمَ بين حشا وخِلْبِ

وقوله : [٦٦]

---

٦٠ - شعره ٥٥ .

٦١ - شعره ٥٢ .

٦٢ - المستنفر الذي اعد عدته للقتال .

٦٣ - شعره ٣٦ .

٦٤ - شعره ٣٧ .

٦٥ - م . ن .

ومن الموالي ضبٌّ جندلةٍ

لحزِ المروءة ظاهر الغمرِ

وقد وصفه الأصمعي بقوله : أشعر الفرسان [٦٧] .

المصادر والمراجع

- القران الكريم
- الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العقلائي – ٨٥٢ هـ - طبع دار العلوم الحديثة / الطبعة الأولى ١٢٢٨ هـ
- الاغاني / أبو الفرج الاصبهاني – ٢٥٦ هـ مصورة عن طبعة بولاق /لبنان – بيروت – بلا تاريخ .
- البيان والتبيين /الجاحظ- ٢٥٦ هـ تح عبد السلام هارون طبعة ١٩٨٥ وطبعة بيروت - بلا تاريخ.
- ديوان حسان بن ثابت – ٥٠ هـ / طبع دار صادر بيروت – بلا تاريخ .
- شعراء النصرانية / لويس شيخو – ١٩٢٧ طبع في بيروت .
- شعر الزبرقان بن بدر / ٤٥ هـ تح سعود محمد عبد الجابر / جامعة قطر / مؤسسة الرسالة – الطبعة الثانية / ١٩٨٧ بيروت .
- شعر ليلى الاخيلية / جمع خليل العطية وجليل العطية / بغداد ١٩٦٧ .
- شعر المخبل السعدي / تح د. حاتم الضامن / بغداد ١٩٧٣ .
- شعر النابغة الجعدي / عبد العزيز رباح / منشورات المكتب الإسلامي / دمشق ١٩٦٤ .
- السيرة النبوية لابن هشام / ٢١٨ هـ / تح مصطفى السقا وآخرين / دار الفكر بيروت ١٩٨٥ .
- صحيح مسلم بشرح النووي / ٦٧٦ هـ مكتبة الإيمان / جامعة الأزهر / بلا تاريخ .
- طبقات الشعراء / ابن سلام الجمحي / ٢٣٠ هـ تم جوزف هيل
- الآداب / أسامة بن منقذ – ٥٨٤هـ رنح احمد محمد شكر ، المطبعة الرحمانية ، مصر ، ١٩٣٥ .
- مختصر تفسير ابن كثير ــ ٧٧٤هـ / ابن كثير الدمشقي القريشي ، طبعة منقحة / محمد ناصر الدين الألباني / مكتبة الصفا / القاهرة .

---

٦٦ - شعره ٤٢ ، الغمر : الحقد .

٦٧ - ينظر معجم الشعراء ١٠٢ .

- معجم الشعراء من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر الأموي/ د. عفيف عبد الـــرحمن / جامعة اليرموك / طبعة بيروت / دار المناهل ١٩٩٦ .